

بسم الله الرحمن الرحيم

نساءُ "الخلافةِ" أسيراتٌ مخذولات

الحمد لله الذي هدى الورى، لطرق العدلِ والفضلِ والنجابةِ والهدى، وزجرهم عن ارتكاب أسباب الظلمِ والتهلكةِ والغوايةِ والردى، وصلى الله على نبيهِ المصطفى، وأصحابه العدول من أئمةِ الجود والتقى، ومن اتبعهم بإحسان على نهجه المرتضى؛ أما بعد:

فقد تتالت علينا الخطوب، وشرقت نفوس الموحدين بالكروب، وانهالت علينا الابتلاءات كعارض مهلك من رب الأرضِ والسماوات، وليس الابتلاء في النفس من قتلٍ وجوعٍ وجروحٍ وتشريد، كما الابتلاء في أعراضنا.

أخواتنا العفيفات من أهل التوحيد، واللاتي غصت بهنَّ وبأطفالهنَّ مخيمات الشرك والتنديد، فرحماك ربي من قهر الرجال!

أصون عرضي بمالي لا أبدده … لا بارك الله بعد العرض في المال
أحتال للمال إن أودى فأكسبه … ولست للعرض إن أودى بمحتال

وإنه ومما أجج نار الغيارى في الفؤاد، تلكم الأصوات النابحة، والتي تعالت ممن يسمون بالمناصرين -إلا من عصم ربنا وأنار بصيرتهم-، أولئك المنبطحون المتشبثون -وإلى

الآن - بلواء الظلمةِ الذين زال ملكهم، وهلك سلطانهم، بما كسبت أيديهم، وما ربك بظلام للعبيد! {**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**} [النمل: ٥٢]

وقد جفت الحلوق، وتعب اليراع، ننصح فنلين تارة، ونشد أخرى، علهم يتوبون ويرجعون، علهم يرعوون ويعودون، إلا أنهم لبثوا في طغيانهم يعمهون، وما زادت نفوسهم البائسة إلا تجبرًا واستكبارًا وإفسادًا في الأرض؛ عنجهية الأجلاف من أعراب العراق -قاتلهم الله بظلمهم -، ماذا فعلوا بالموحدين؟

الموحدون الذين وثقوا بهم، وظنوا بهم خيرًا، وجاؤوهم من أقاصي الأرض مهاجرين مبايعين، لا يبغون منهم حمدا ولا شكورا، ولكن يسألون الله تعالى من فضله، فلقوا في دار الخلافة المزعومة ما يلاقيه الغريب بين الأراذل والأنذال، فأنى لله أن ينصر الخسيس الغادر؟! وهل نُصر الجولاني من قبل، حتى يُنصر البغدادي من بعد؟ فكلاهما قد غدر بالمهاجرين غير أن الجولاني قد سقط قناعه، وبدت سوأته منذ البداية، أما خليفتنا الهارب المولي الدبر، فقد أجاد اللعبة القذرة حتى آل أمر الموحدين إلى ما هو عليه اليوم، وحسبنا الله ونعم الوكيل!

وكان حريًّا بالرعيَّةِ والجندِ الذين صبروا واحتسبوا، أن يخرجوا ويصرخوا بأعلى صوتهم: "**البغدادي هرب، البغدادي هرب..**"

وأقول لأعوان الظلمة ولو بحرف واحد، الذين ستحمر أنوفهم من كلماتي:

على رسلكم يا مناصري الباطل في كل مكان، فلم أبدأ الجلد بعد!

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "**يَكُونُ أُمَرَاءُ تَغْشَاهُمْ غَوَاشٍ - أَوْ حَوَاشٍ - مِنَ النَّاسِ يَظْلِمُونَ وَيَكْذِبُونَ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَيُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَيُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ**" (١)

(١) مسند أحمد ط الرسالة (١٧/ ٢٨٧)

وقد فهمنا تعصبكم للرجال لا للحق، وتقديسكم للأسماء، وتغنيكم بسلطانٍ بائد، وولاة هاربين، نعم؛ ولاة خذلوا الموحدين، وخيبوا الآمال، وعلى رأسهم من استرعاه الله فيهم، فقال يومًا: "**أطيعوني ما أطعت الله فيكم**"، فأطاعوه وعصى الله فيهم!

وها هو قد فرّ وحجاجيه، تاركين وراءهم جندًا ونساءً جلّهن من الأرامل، وولدانًا جلهم "**أيتام**" لا حول لهم ولا قوة!

ويحك يا إبراهيم! كيف طاوعتك نفسك أن تخذل من لبى نداءك، وقوّى شوكتك، وشد الله به أزرك؟

كيف سولت لك نفسك أن تقطع تلك الأنامل الملونة؛ بيضاء وسوداء وحمراء وصفراء، والتي امتدت يومًا لبيعتك؟

خدعوك فقالوا: اخرج ولا تفكر بالمهاجرين والأنصار، فالله معهم، وهم كثر، أما أنت يا أمير المؤمنين، فليس لنا بديلًا عنك!

إذا قُتلت أنت، فسننتهي يا أمير المؤمنين!

ألم يوسوس لك حجاجيك بطانة السوء بذلك يا إبراهيم؟ بلى قد فعلوا، وكنت لهم من السامعين!

ثكلتك أمك يا عبد الله!

أو أنت أكرم على الله من جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من وطئ الثرى؟ لقد مات محمد صلوات ربنا عليه، ولم يمت دين الله، مات محمد صلى الله عليه وسلم، فقيض الله لدينه الصديق أبا بكر رضوان الله عليه، فثبّت الدين، وحفظ بيضة الأمة، فكيف تظن أنت ومن معك؛ أنه وبمقتلك ستنتهي الدولة ويضيع الدين؟!!

وها أنت ترسل اليوم إليهم برسالة هي آخر ما ورد منك لجنودك : "**تخلوا عن كل شيء ؛ تخلوا عن الخلافة ، وتخلوا عن الراية ، ولكن لا تتخلوا عن دينكم**"!

نعم هكذا ، وبمنتهى الصفاقة والوقاحة ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال : «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ**» (٢)

أهذا مستطاعك يا إمام؟

تمامًا كتلك الرسالة البائسة التي أرسلتها عبر أحد المجرمين من أعوانك "**أخونا والي البركة**" ، رسالة اشمأزت منها النفوس ، واستقبحتها القلوب ، رسالة أردتم بها التسلية ، فكانت تعزية قبل الموت! حيث "**وبعد السلام، ذكّرتم المرابطين على ثغور البركة بالصبرِ والثبات** ... إلى أن قلتم : **كونوا خير خلفٍ لخير سلف ، وتأسوا بإخوانكم في سرت ونينوى**"!!

فقولوا بربكم!

أي أحمق أشار عليكم بذلك؟

وأي أحمق كتبهُ ووقعهُ ونشره؟

أبمثل هذه الكلمات المخذِّلةِ والمثبِّطة تثبتون الناس؟

أو هكذا تُرفع الهمم في دولة حجاجي العراق؟

إن الهمم تُرفع بالتذكير بأيام الفتوحات والنصر ، لا بأيام قُتِّل فيها الموحدون تقتيلا ، ودُنِّست أعراضهم ، وهُتِكت أستارهم! فكيف تُصبرون الناس بمآل نينوى وسرت؟

لم وليت الدبر يا خليفة المسلمين يا كرّار؟

---

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٧٧)

لم لم تبق مع جندك ورعيتك يمسك ما يمسهم، وينالك ما ينالهم؟ تجوع لجوعهم، وتظمأ لظمئهم، وتعرى لعرائهم، وتبرد لبردهم، وتُكلم لكُلَمِهم؟

نعم لقد كنتَ معهم ولوقتٍ طويل، ونحن لا ننكر ذلك، ولكن العبرة بالنهايات لا بالبدايات، فأنت ومع اشتداد الأمر عليهم، نكصت على عقبيك، ووليتهم ظهرك، أخشيت على نفسك القتل في ذات الله؟ أو ليس ذاك ماترجوه من ربك؟!

يُجادلني أحد المنبطحين قائلًا: ماذا تريد من الخليفة أن يفعل؟ "يدقم" مثلًا؟! قلت: لا .. الدقمة شرف لا يناله الظالمون!

لم يُطلب منك الكثير لتفعله يا خليفة المسلمين؛ كانت بعض الإصلاحات، ورد المظالم، والصبر على الأذى مع إخوانك من الجند إذا مستهم البأساء.. ولا شيء أكثر!

ثم هب أنك أنت الرجل المهم الذي يجب أن لا يُقتل؛ ماذا عن حجاجيك؟

لم فروا وأمنوا نساءهم وأطفالهم بأموال المسلمين؟ كعادتهم دائمًا!

أو ليست هي هي سياستهم يا خليفة المسلمين مذ عرفناهم؟

نساؤهم وأبناؤهم، ثم هم، ومن بعدهم الطوفان!

نعم زوجات الحجاجي العراقيات، تؤمن لهن الطرق والفنادق، أما المهاجرة، فلا شيء من ذلك، المهاجرة ذات العقيدة صاحبة الدين، من تركت أهلها وذويها، وقطعت آلاف الأميال، وركبت الصعاب والأهوال، ملبية نداء الشارع بوجوب الهجرة إلى دار الإسلام! وأنى تُنصف الموحدة في دولة الخلافة المزعومة التي فرقت حتى بين الشهداء؟ فجعلت لأرامل العراقيين مكتب شهداء ديالى والأنبار الذي كان يوزع على العراقيات ما لذ وطاب في شدة الحصار والجوع! فقتلى العراقيين، شهداء درجة أولى، أما القتلى من المهاجرين والأنصار (السوريين)، فشهداء درجة ثانية! يحدث هذا في دولة كذبت على الله وقالت: نحنُ "**خلافة على منهاج النبوة**"!

واليوم يفر ولاة الأمر في "**دولة الخلافة**"، تاركين الحرائر لقمة سائغة للملاحدة الملاعين!

قلتُ يا أنصار الباطل: قد فهمنا تعصبكم لهؤلاء، ولكن ما لم نفهمه، غيرتكم الباردة على الأعراض، خاصة المهاجرات -وليس هذا انحيازًا للمهاجرات، ولكن أولًا؛ لأنهن السواد الأعظم من المأسورات، وثانيًا؛ لأن الأخت السورية ستخرج إن شاء الله تعالى -عاجلًا أو آجلا -، كيف تنفون عن ساستكم الحكماء مسؤولية أسر الأخوات؟!

إن الكفل الأعظم من هذه النازلة التي ألمت بالموحدات إنما يتحمله البغدادي وبطانته، ولا ينكر ذلك إلا متعصب؛ نعم لقد كنا مع سياسة الدولة في فتحها باب الهجرة للنساء وفق الضوابط الشرعية، وشجعنا على ذلك واستبشرنا به خيرًا، ولكن في مقابل تلكم التضحيات الجسام التي قدمتها الأخت المهاجرة، ماذا قدمت لهن الدولة؟ هل اتخذ الساسة المحنكون أسباب حفظ الأعراض؟ هل جهزوا الأقبية مثلًا والملاجئ لحمايتهن؟ آلاف الدولارات صُرفت على الجسور، والإنارة، والحدائق في الموصل، في حين لم يُجهز أي شيء لحماية الأخوات نعم؛ كن في المضافات، والدولة تؤمن لهن كل ما يحتجنه من مطعمٍ ومشربٍ وملبسٍ لهن ولأطفالهن، ولكن أمنيًا ماذا قدمتم للموحدات؟ حقيقة لا شيء يُذكر!

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وقت الحروب والغزوات؛ يؤمن النساء في أطم حسان بن ثابت- رضي الله عنه -، وقد يقول أحدهم لم يكن هناك طيران وقصف حينها، نقول ولكن اليوم ومع القصف يوجد شيء اسمه "**أقبية وملاجئ**"، قد لا تكون مجدية مع تطور الأسلحة اليوم، ولكنها من باب اتخاذ الأسباب لا أكثر!

ومما يحرق الأكباد؛ ما فعله مسؤولو المضافات مؤخرًا مع بدء الحملة على هجين؛ إذ أخذوا الأرامل والأيتام، وألقوا بهم في مساجد تفتقر لأبسط مؤهلات الحياة، حتى الماء لا يتوفر فيها!

قد يقول المسؤول: وماذا أفعل بأكوام اللحم تلك وقد ألقيت على عاتقي؟

نقول له: ردها على إمامك، وقل له: لا تفعلوا شيئًا لستم بأهلٍ له!

لا تؤسسوا دولة، وتدعوا الناس للهجرة، ثم ترموهم "**رمية الكلاب**"!

واليوم لا يفعلون شيئًا؛ لتأمين خروج النساءِ وحمايتهن من الأسر، وإن كان الأسر في ظل هذه الظروف التي يمر بها الموحدون محققًا لا محالة لأغلب الأخوات، ولكن لو فعلوا أقل القليل؛ لتفادي ذلك، لحُسب لهم، أما أن ينفضوا أياديهم الملطخة بدماء المشايخِ والأبرياءِ من هذا الأمر جملةً وتفصيلًا، فمنتهى الخسة!

نعم؛ لقد كُتب على أخواتنا الأسيرات الابتلاء، والمرأة ينالها من الأذية في ذات الله ما ينال الرجل، تقتل وتؤسر وتصاب وتطارد و... إلخ، وكل من هاجرت إلى دار الإسلام، وسلكت طريق الحق، تدرك ذلك جيدًا، ولكن أن تُبتلى وتُخذل، فتلك لعمر الله الباقعة التي قصمت ظهور الموحدين!

أتعلم يا إبراهيم ما المكتوب على بطاقات أخواتنا الموحدات ممن لا ولي لهن؟

مكتوب على خانة الولي: **الإمام!**

ووالذي بعث جدك بالحق، لتلقين الله بتلك الكلمة، وتلك الولاية التي لم تكن لها أهلا!

وليتك وبعد كل هذا الخذلان والإجرام، تهمس في آذان خلاياكم النائمة في إدلب، أن ناموا ولا تستيقظوا، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينسها لمطعم بن عدي، ذاك المشرك الذي أجاره من كفار قريش، فحفظ له نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك المعروف حتى بعد موته على الكفر؛ وذلك لما أسَرَ المسلمون في غزوة بدر سبعين من المشركين، فقال - صلى الله عليه وسلم: **«لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلاَءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ»** (٣)

واللبيب من الإشارة يفهم، فإن خذلتم الموحدات الأسيرات، فلا تخذلوا غيرهن من الحرائر الطليقات!

---

(٣) صحيح البخاري (٤/ ٩١)

نسيت أن أخبرك يا إمام!

ما من أحد اليوم إلا ويدعو عليك، حتى أن منهم من بات يلقن أطفاله الدعاء عليك، وعلى حجاجيك، والله الموعد، وعنده الملتقى.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلم على سيد الأنبياء والمرسلين.

وكتب: ابن جبير

١٤٤٠/٦/١٤هـ